



أول مؤسس لقوانين الجراحة في العالم

المزهر اوي.. أشهر علماء الأندلس

المزهر اوي -المعروف في أوروبا باسم (Abulcasis = أبو القاسم)- هو أول من تمكن من اختراع أولى أدوات الجراحة كالمشرط والمقص الجراحي كما وضع الأساس والقوانين للجراحة التي من أهمها ربط الدأوعية لمنع نزفها واختراع خيوط الجراحة فكان أحد العلماء الأعلام الذين سعدت بهم الإنسانية.

وقد ولد أبو القاسم المزهر اوي في مدينة الزهراء ونسب إليها كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالمزهر اوي ولمخلف بن عباس المزهر اوي من الكتب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو أكبر تصانيفه وأشهرها وهو كتاب تام في معناه.

*إنجازات وإبداعات

كان المزهر اوي يمارس بنفسه فن الجراحة بدلاً من أن يُوكَل ذلك -كما كانت العادة- للحجّامين أو الحلاقين فمارس الجراحة وحذق فيها وأبدع حتى صار علماً من أعلام طب الجراحة لدرجة أنه لا يكاد يُذكر اسمه إلا مقترناً مع الطب الجراحي وقد حلّ مبحث المزهر اوي في الجراحة خاصة محل كتابات القدماء وظل العمدة في فن الجراحة حتى القرن السادس عشر وباتت أفكاره حدثاً تحوّل في طرق العلاجات الطبية حيث هيّأت للجراحة قُدرة جديدة في شفاء المرضى أذهلت الناس في عصره وبعد عصره وقد ساعدت آلاته الجراحية التي اخترعها على وضع حجر الأساس للجراحة في أوروبا.

وقد وصف المزهر اوي هذه الآلات والأدوات الجراحية التي اخترعها بنفسه للعمل بها في عملياته ووصف كيفية استعمالها وطرق تصنيعها منها: حَفّ الولادة والمنظار المهبل المستخدم حالياً في الفحص النسائي والمحقن أو الحقنة العادية والحقنة الشرجية وملاق خاصة لخفض اللسان وفحص المضم ومقصلة اللوزتين وجفت وكالليب خلع الأسنان ومناشير العظام والمكاوي والمشارط على اختلاف أنواعها وغيرها الكثير من الآلات والأدوات التي أصبحت النواة التي طُوّرت بعد ذلك بقرون لتصبح الأدوات الجراحية الحديثة.

يقول كامبل في كتابه (الطب العربي): كانت الجراحة في الأندلس تتمتع بسمعة أعظم من سمعتها في باريس أو لندن أو أدنبره ذلك أن ممارسي مهنة الجراحة في سرقسطة كانوا يُمنحون لقب طبيب جراح أمّا في أوروبا فكان لقبهم حلاق جراح وظل هذا التقليد ساريّاً حتى القرن العاشر الهجري. □

والمزهر اوي هو أول من جعل الجراحة علماً قائماً على التشريح وأول من جعله علماً مستقلاً وقد استطاع أن يبتكر فنوناً جديدة في علم الجراحة وأن يقيّن نها وهو أول من وصف عملية القسطرة وصاحب فكرتها والمبتكر لأدواتها وهو الذي أجرى عمليات صعبة في شق المقصبة الهوائية وكان الأطباء قبله -مثل: ابن سينا والرازي- قد أحجموا عن إجرائها لخطورتها وابتكر المزهر اوي -كذلك- آلة دقيقة جداً لمعالجة انسداد فتحة البول المخارجية عند الأطفال حديثي الولادة لتسهيل مرور البول كما نجح في إزالة الدم من تجويف الصدر ومن الجروح الغائرة كلها بشكل عام. والمزهر اوي -كذلك- هو أول من نجح في إيقاف نزيف الدم أثناء العمليات الجراحية وذلك

بربط المشرايين الكبيرة وسبق بهذا الربط سواه من الأطباء الغربيين بستمائة عام! والعجيب أن يأتي من بعده من يدعي هذا الابتكار لنفسه وهو الجراح إمبراطور باري عام (1552م).

وهو -أيضاً- أول من صنع خيطاناً لخياطة الجراح واستخدمها في جراحة الأمعاء خاصة وصنعها من أمعاء القطط وأول من مارس التخطيط الداخلي لإبرتين وبخيط واحد مثبت فيهما كي لا تترك أثراً مرئياً للجراح وقد أطلق على هذا العمل اسم (الممام الجروح تحت الأدمة) وهو أول من طبق في كل العمليات التي كان يجريها في النصف السفلي للمريض رفع حوضه ورجليه قبل كل شيء ممّا جعله سباقاً على الجراح الألماني (فريدريك ترولينزبورغ) بنحو ثمانمائة سنة الذي نسب الفضل إليه في هذا الوضع من الجراحة ممّا يحدّ اختصاً لحق حضاري من حقوق المزهر اوي المبتكر الأول لها.

كما يحدّ المزهر اوي أول رائد لفكرة الطباعة في العالم فلقد خطا الخطوة الأولى في صناعة الطباعة وسبق بها الألماني يوحنا جوتنبرج بعدة قرون وقد سجّل المزهر اوي فكرته عن الطباعة ونفذها في المقالة الثامنة والعشرين من كتابه الفذ (التصريف) ففي الباب الثالث من هذه المقالة ولأول مرة في تاريخ الطب والصيدلة يصف المزهر اوي كيفية صنع الحبوب (أقراص الدواء) وطريقة صنع القالب الذي تصب فيه هذه الأقراص أو تحضر مع طبع أسمائها عليها في الوقت نفسه باستخدام لوح من الأبنوس أو المعاج مشقوق نصفين طولاً ويحفر في كل وجه قدر غلظ نصف القرص وينقش على قعر أحد الوجهين اسم القرص المراد صنعه مطبوعاً بشكل معكوس فيكون النقش صحيحاً عند خروج الأقراص من قالبها وذلك لمنع الغش في الأدوية وإخضاعها للرقابة الطبية. وفي ذلك يقول شوقي أبو خليل: ولما ريب أن ذلك يُعطي المزهر اوي حقاً حضاريّاً لكي يكون المؤسس والمرائد الأول لصناعة الطباعة وصناعة أقراص الدواء حيث اسم الدواء على كل قرص منها هاتان الصناعتان اللتان لا غنى عنهما في كل المؤسسات الدوائية العالمية ومع هذا فقد اغتصب هذا الحق وغفل عنه كثيرون.

وكذلك يحدّ المزهر اوي أول من وصف عملية سَل العروق من المساق لعلاج دوالي المساق والعرق المدني واستخدمها بنجاح وهي شبيهة جداً بالعملية التي نمارسها في الوقت الحاضر والتي لم تُستخدم إلّا منذ حوالي ثلاثين عاماً فقط بعد إدخال بعض التعديل عليها وللمزهر اوي إضافات مهمة جداً في علم طب الأسنان وجراحة الفكّين وقد أفرد لهذا الاختصاص فصلاً خاصاً به. وكان مرض السرطان وعلاجه من الأمراض التي شغلت المزهر اوي فأعطى لهذا المرض الخبيث وصفاً وعلاجاً بقي يُستعمل خلال العصور حتى المساحة ولم يزد أطباء القرن العشرين كثيراً على ما قدّمه علامة الجراحة المزهر اوي.

وإن ما كتبه المزهر اوي في التوليد والجراحة النسائية ليُعتبر كنزاً ثميناً في علم الطب ولقد ابتكر آلة خاصة لاستخراج الجنين الميت فسبق الدكتور فالشر بنحو تسعمائة سنة في وصف ومعالجة الولادة الحوضية وهو أول من استعمل آلات خاصة لتوسيع عنق الرحم وأول من ابتكر آلة خاصة للفحص النسائي لا تزال إلى يومنا هذا.

ويحكي جوستاف لوبيون عن المزهر اوي فيصفه بقوله: أشهر جراحي العرب ووصف عملية سحق الحصى في المثانة على الخصوص فعُدّت من اختراعات العصر الحاضر على غير حق ...

وجاء في دائرة المعارف البريطانية أنه أشهر من ألّف في الجراحة عند العرب (المسلمين) وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف.